

الإمام علي عليه السلام الأحرم على وحدة الأمة



www.taqrib.ir

الشيخ حسن الصفار

يفخر الإمام علي عليه السلام بأنه الأحرم على جماعة الأمة والفتها، كما ورد في كتاب له ذكره الشريف الرضي في نهج البلاغة يقول فيه: "وَلَيْسَ رَجُلٌ فَاعْلَمُ أَحْرَصَ عَلَى جَمَائِعَهُ أُمَّةٌ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأُلْفَتَهَا مِنْهُ يَقِنُ أَبْتَغَيَ بِذَلِكَ حُسْنَ الْثَّوَابِ
وَكَرَمَ الْمَآبِ. وَسَأَفِي بِاللَّذِي وَأَيْتُ عَلَى زَفْسَيْ".

وسيرة علي تصدق قوله وتثبت دعواه، فقد غضط طرفه عن حقه في الخلافة والقيادة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

كان بإمكانه أن ينبرى للدفاع عما يعتقد أنه حق له، وكان يعلم أن في توليه الخلافة مصلحة للأمة وللرسالة، لكنه وجد أن هذا التصدي وهذا الموقف يضر بالمصلحة العامة في ذلك الطرف، ويؤدي إلى فتنه واحتراق داخلي. حتى أن أبا سفيان جاءه - كما ذكر ابن الأثير في تاريخه - وقال: ابسط يديك أبا يعقوب، فواه لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجلا. فزجره علي وقال: "وَاللَّا هُنَّ إِنَّكَ مَا أَرَدْتَ بِهِ ذَاهِ

إِنَّ لَا إِلَهَ مُلْتَقِيَّةٌ، وَإِنَّ زَكَرَ وَاللَّهُ طَالِمَ بَغَيْتَ لِلْإِسْلَامِ شَرًّا! لَا حَاجَةٌ لَذَنَّا فِي زَصِيقَتِكَ».

وجاءه عمّه العباس بن عبدالمطلب وقال له: أبسط يدك أبايعك، فيقال: عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله، ويبايعك أهل بيتك، فإن هذا الأمر إذا كان لم يقل».

لقد امتنع الإمام علي عن بيعة أبي بكر أيامًا أو شهورًا، كما ذكرت المصادر التاريخية، لكنه حين رأى جديّة خطر الردة عن الإسلام، وإمكانية تعرض كيان الأمة للاهتزاز، بحصول أي خلاف وتنازع، انضوى تحت راية الخلافة، كما يقول عليه السلام فيما روي عنه: (فَمَا رَأَيْتُ إِلَّا ازْتَبَّ الظَّاسِ عَلَيْ فُلَانٍ يُبَاتِ عُونَهُ فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ الظَّاسِ فَادْرَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ بَدْعُونَ إِلَيْ مَحْقَرَ دَيْنِ مُحَمَّدٍ فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ إِلَيْهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلَّهَا أَوْ هَدَمَا تَكُونُ الْمُصِيدَةُ بِهِ عَلَيْ أَعْظَمِ مِنْ فَوْتٍ وَلَا يَتَكُمُ).

حماية كيان الأمة

والصدق الأهم لحرمه على وحدة الأمة والمصلحة العامة هو دعمه لكيان الخلافة برأيه ومشورته، فهو لم يعتزل ولم يخضع لأي مشاعر انتقامية، ولا تعامل مع الخلفاء انطلاقًا من موقف شخصي، بل إن علي بن أبي طالب تحمل مسؤوليته، فكان مع الخلفاء ومع الأمة، يحضر المسجد، ويشارك في صلاة الجماعة، يُسند شهارات، ويشير فيعطي رأيه، وينفذ الأمة، ويساعد الخلفاء في مواقف كثيرة.

فهناك أكثر من تسعين موردًا في قضايا عسكرية واقتصادية وسياسية ودينية استشار فيها الخليفة عمر الإمام عليًا وأخذ برأيه، سجلها مع ذكر مصادرها الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والخلفاء).

ولنا أن نتساءل: كيف كان الخليفة عمر يستشيره إن لم يكن يثق به ويطمئن إلى رأيه؟

إن عليًا عليه السلام لم يكن ينظر إلى الخلفاء من موقع العداء الشخصي في Kiddid لهم، ويسعى للانتقام منهم، وهم في المقابل كانوا ينظرون لعليٍّ كمعين ثقة، ومساعد أمين، فيما هو لمصلحة الأمة والدين، وإنما لو كان عمر وأبو بكر ينتظران لعليٍّ كعدو لما رجعا إليه ووثقا برأيه، والإمام علي - في المقابل - ما كان يتعامل من موقع العداوة الشخصية، وإنما كان يمحضهم النصيحة ويشير عليهم بما ينفع الأمة وكيان المسلمين آنذاك، حتى أُثْرَ عن الخليفة عمر أنه كان يتبعه باه من معضلة ليس لها أبو الحسن

علي ، وروى – أيضًا – عن عمر قوله: «لولا علي لهلك عمر».

ومع أن الإمام عليه السلام أبدى عدم رضاه عن بعض السياسات في عهد الخليفة عثمان، وبخاصة دور البطانة التي كانت حول الخليفة، إلا أنه ما انفك يقدم النصيحة والرأي لعثمان، وحاول كثيراً أن يعالج موضوع التمرد على الخليفة، فكان واسطة وسفيراً بين المعارضين وال الخليفة أكثر من مرة، ولكن الأمر خرج من يده، وحينما حاصر عثمان ومُدعٍ عنه الماء استنجد بعليٍّ، فبعث الإمام ولديه الحسينين بـقِرَبِ الماء حتى يدخلوها إلى بيت عثمان.

وفي نصوص تاريخية مذكورة في مختلف كتب السنة أنه عليه السلام أمر ولديه الحسينين أن يبقيا على باب عثمان حراسة له، ولكن المعارضين تسلقوا من بيوت الجيران على دار الخليفة.

استيعاب المعارضة

كما أن حرصه عليه السلام على الوحدة أيام خلافته هو الذي دفعه لقبول التحكيم ووقف الحرب في صفين، لأن ذلك كان رأي الأكثريّة من جيشه.

وحرصه عليه السلام على الوحدة هو الذي جعله يتحمل استفزازات الخارج الذين كفروه وكأنوا يجهرون بمعارضته حتى أثناء خطبته في المسجد، فلما أكثروا عليه قال عليه السلام: (كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ، لَكُمْ عِنْدَكُمْ ثَالِثٌ خَصَائِلٌ: لَا زَمْنَعُكُمْ مَسَاجِدُ الْلَّاهِ أَنْ تُصَلِّوْا فِيهَا، وَلَا زَمْنَعُكُمْ الْفَيْءَ مَا كَانَتْ أَيْدِيكُمْ مَعَ أَيْدِيهِ، وَلَا زَبْدَؤُكُمْ بِحَرَبٍ تَبِدِدُونَهَا بِهِ) .

منظّلات النهج الوحدوي

لماذا هذه الدرجة القصوى من الحرص على الوحدة في سيرة الإمام علي عليه السلام بحيث لا يمكن أن تجدها في سيرة غيره؟

يمكننا أن نتحدث عن ثلاث منظّلات كانت وراء هذا الحرص الأكبر عند الإمام علي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام على الوحدة:

الأول: المنطلق الديني

فالآئمة عليهم السلام هم أعرف الناس بأغراض الدين ومبادئ الشريعة ومقاصدها، وبالتالي هم أح Prism الناس على تحقيق تلك الأغراض والوصول إلى هذه المقاصد.

والوحدة الإسلامية من أهم مقاصد الدين ومن أهم أهداف الرسالة المقدسة، فهي ليست مسألة تكتيكية أو عملاً وقتياً، وإنما هي مبدأ يتبعه الإنسان من خاله إلى الله، وآيات القرآن الكريم شاهدة على ذلك، فهناك الكثير من الآيات التي تؤكد هذا الأمر، قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمُّتُكُمْ أُمُّمَةٌ وَاحِدَةٌ وَأَرَبَّكُمْ فَمَا تَرَقُونَ ﴾ ، وفي آية أخرى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الدِّينِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ... ﴾ ، وغيرها من الآيات الكثيرة التي تصب في هذا المجال. وكما نقل عن الشيخ محمد الحسين أبا كاشف الغطاء قوله: "بني الإسلام على دعامتين كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة".

إن الإمام علي عليه السلام يتقرب إلى الله ويتغى ثوابه بحرمه على الوحدة، كما يقول عليه السلام ﴿ وَلَيَسْ رَجُلٌ فَاعْلَمُ أَحْرَصَ عَلَىٰ جَمَاعَةٍ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأُلُوفَتْهَا مِنْهُ ، أَبْتَغَيَ يَدَكَ حُسْنَ الْذَّوَابِ ، وَكَرَمَ الْمَآبِ . وَسَأَفِي بِالْمَذْيِ وَأَيْتُ عَلَىٰ زَفْسِي .﴾.

الثاني: الوعي الحضاري

كان الإمام علي عليه السلام يفهم الإسلام مشروعًا حضاريًا لبناء أمة رائدة وكيان قوي، وتقديم أنموذج للبشرية، كما يقول تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ... ﴾ ، قوله تعالى: ﴿ ... وَأَرْتُمُ أَلْأَعْلَوْنَ إِنَّ كُنْدُنْمُ مُؤْمِنِينَ ﴾

ولا يتحقق هذا المشروع إذا انشغل أبناؤه بالمصالح الخاصة والقضايا الجانبية، يقول الإمام علي عليه السلام: "فَإِنَّ إِنَّ سُبْحَانَهُ فَادْعُهُمْ إِنَّمَاتَنَّ عَلَىٰ جَمَاعَةٍ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِهِمْ ... الْأَلْفَةُ ... لَأَرْسَهَا أَرْجَاجُ مِنْ كُلِّ شَمَانِ ، وَأَجَلَّ مِنْ كُلِّ خَطَارِ".

وورد عنه عليه السلام أنه قال: "إِنَّ إِنَّ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِمْنَ مَهْمَى ، وَلَا مِمْنَ بَقِيَّ".

الثالث: طهارة النفس

ذلك أن من أبرز العوائق التي تكون عقبة في طريق تحقيق الوحدة بين أبناء الأمة، أن بعض أبنائها قد يدرك أبعاد وأهداف الوحدة، لكن المتموح إلى بعض المطامع والمصالح الشخصية أو الفئوية هي التي

يجعله يميل عن طريق الوحدة، ويسلك طريق المصراع والخلاف من أجل أن يحقق مصلحة مّا ومكسبًا معينًا، أما أهل البيت عليهم السلام فإن نفوسهم كانت طاهرة، يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لَيْذَهِبَ عَذْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، فلم يكن في نفوسهم حبًّا لمنصب، أو مصلحة، أو مكسب.

إن المطامع والمكاسب الفردية والفئوية هي التي تجعل البعض يسير في طريق الانشقاق والخلاف والصراع. أما أهل البيت فإن نفوسهم طاهرة من هذه المآرب والأغراض، لذلك كانوا أحرص الناس على وحدة المسلمين.

فقدًّ مو التنازلات والتضحيات، وقدًّ مو أغلى الأثمان من أجل أن يحافظوا على وحدة الأمة الإسلامية، فجزاهم الله عن أمة جدًّهم صلوات الله عليه وآلته خير الجزاء.

ويشير الإمام علي عليه السلام إلى تساميه عن المطامع والمطامح بقوله عليه السلام: "وَاللَّهُ لَا يُؤْسِلُ مَنْ مَا سَلَّمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيْهِ خَاصَّةً الْتِمَاسًا لَا جُرْ دَلِكَ وَفَهْلَهْ وَزُهْدًا فِيمَا تَنَاهَا فَسَتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزَبْرِجِهِ".

ويقول عبد الله بن عباس: دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بِذِي قَارَبِهِ، وَهُوَ يَخْصِفُ زَعْلَهُ، فَقَالَ لِي: مَا قِيمَةُ هَذَا النَّعْلِ؟ فَقُلْتُ: لَا قِيمَةَ لَهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامَ: وَاللَّهُ لَهُ يَأْتِي أَدَبٌ إِلَيْهِ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا.

تأمّل الموقف الوحدوي

كم نحن بحاجة إلى قراءة هذه السيرة العلوية العظيمة، وتأمل هذا الموقف الوحدوي الصلب، لنتحمل مسؤولياتنا تجاه ديننا ومجتمعنا ووطننا في رعاية الوحدة والحرس على حمايتها، في مختلف مستوياتها: على الصعيد الاجتماعي، وعلى الصعيد الوطني، وعلى مستوى الأمة، وخاصة في هذه الظروف الخطيرة التي تتعرض فيها أوطان المسلمين إلى فتن الاختلاف، ومؤامرات التقسيم .